مقياس: فلسفة النقد

السنة الثانية ليسانس (دراسات نقدية)

المحاضرة الثامنة: الفلسفة الوجودية

1- تعريف الوجودية:

تعد الوجودية من أحدث المذاهب الفلسفية وأكثرها انتشارا في الفكر المعاصر؛ وقد ظهرت نتيجة لحالة القلق التي سيطرت على أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، واتسعت مع الحرب العالمية الثانية، وسبب هذا القلق هو الفناء الشامل الذي حصل نتيجة الحرب.

والوجودية حركة فلسفية تؤكد على أهمية التجربة الشخصية وتحمل المسؤولية للفرد، الذي ينظر إليه على أنه إنسان ذو إرادة حرة بالكامل في كون حتمي لا معنى له، ذلك وتُعارض الفلسفة الوجودية في معتقداتها الفلسفة التجريبية والفلسفة العقلانية.

وهي تتمحور في عدة أسس أبرزها، أن الوجود يسبق الماهية، وأن الإنسان صاحب إرادة حرة تدفعه نحو اختيار أفعاله، كما ترتكز على مبدأ الكوجيتو الديكارتي " أنا أفكر إذن أنا موجود".

ويمكن القول إن الوجودية مذهب فلسفي يقوم على دعوة خادعة، وهي أن يجد الإنسان نفسه، ومعنى ذلك عندهم: أن يتحلل من القيم، وينطلق لتحقيق رغباته وشهواته بلا قيد، ويقولون: إن الوجود مقدم على الماهية، وهذا اصطلاح فلسفي معناه: أن الوجود الحقيقي هو وجود الأفراد، أما النوع فهو اسم لا وجود له في الخارج؛ فمثلا: زيد وخالد وإبراهيم، هؤلاء موجودون حقيقيون، لا شك في وجودهم، ولكن الإنسان أو النوع الإنساني كلمة لا حقيقية لها في الخارج.

من أهم روادها: سورين كيركجارد، وكذلك مارتن هايدغر، وغابرييل مارسيل، وكارل ياسبرز، وألبرت كامو، وجان بول سارتر، وغيرهم.

2- أقسام الفلسفة الوجودية:

تنقسم الفلسفة الوجودية إلى قسمين:

أ- **وجودية حرة:** سميت بذلك لأنها تحررت من كل المعتقدات الموروثة، ويمثلها 'هيدغر' و'سارتر' و'كامو'، وتعرف بالوجودية الملحدة.

وترى هذه الوجودية أن وجود الإنسان في الحياة هو الحقيقة الوحيدة، ولا يوجد شيء سابق عليها ولا بعدها، ومن ثم فلا يوجد إله ولا ماهية، وكل القيم والعقائد والتقاليد موروث ينبغي التخلص منه، ليستطيع الفرد الانطلاق في الحياة دون قيود، وليصنع بإرادته الحرة ما يشاء، ولذلك كان الوجود عندها دون معنى أو غاية فهو حال من العدم.

ب- وجودية مقيدة: ترتبط بعقيدة ما، يمثلها كل من 'كيركجارد' و'كارل ياسبرز' و'غبرييل مارسيل'، وتعرف بالوجودية النصرانية.

وتعتمد هذه الوجودية على نظرية (الإنسان المخطئ) النصرانية؛ وترى أن الإنسان وارث لخطيئة أبيه 'آدم'، وأن الشعور بالإثم الذي يملأه يدفعه إلى تحقيق وجوده أمام الله، بالعمل النابع من إرادته الحرة، فهو يتولى خلق أعمالهن وتحديد ماهيتها وصفاتها باختياره الحر، دون أن يفرض عليه شيء من خارجه.

3- الخصائص العامة للفلسفة الوجودية:

يتسم المذهب الوجودي بخصائص ومعتقدات عامة هي:

أ- **الوجود سابق للماهية:** ومعنى ذلك أن الإنسان وجد أولا، ثم يكتسب صفاته ومميزاته، فالإنسان عندهم ليس موجودا مكتملا، يتغير باستمرار ويسمى هذا التغير بالتعالي.

ب- **الوجود الإنساني:** الوجود الذي تهتم به الفلسفة الوجودية في المقام الأول هو الوجود الإنساني، ويقابله الوجود الموضوعي؛ أي وجود عالم الأشياء، التي تعد عندهم مجرد أدوات تستخدمها الذات الإنسانية لتحقيق ممكناتها، وهو حر في اختيار ما يمكن تحقيقه من بين سائر الممكنات المتاحة.

ج- **الوجود والعدم:** يحصر الوجوديون قضاياهم في الأمور التي تدور بين الولادة والموت (الوجود والعدم)؛ ويقيمونها على ثلاثة محاور أساسية: الحرية والمسؤولية والالتزام.

فالمرء حر في أن يفعل ما يشاء ويختار ما يريد، لأنه غير مرتبط بقيم خارجة عن إرادته، وحريته الواسعة في الاختيار والرفض تفرض عليه مسؤولية تنظيم حياته، وبين الحرية والمسؤولية ينبع التزام الوجودي بالعمل لمبادئه وتحقيق أهدافه.

د- **مفهوم الحرية:** يؤمن الوجوديون بحرية الإنسان المطلقة، وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء، وبأي وجه يريد، دون أن يقيده شيء، وأنه على الإنسان أن يطرح الماضي وينكر كل القيود؛ دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم منطقية، ويقول المؤمنون منهم: إن الدين محله الضمير، أما الحياة بما فيها فخاضعة لإرادة الشخص المطلقة.

هـ- **القيم والأخلاق عند الوجوديين:** لا يؤمن الوجوديون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الناس وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيما أو أخلاقا معينة على الآخرين، وقد أدى فكرهم إلى شيوع الفوضى الخلقية، والتحلل والفساد، والوجودي الحق عندهم هو الذي لا يقبل توجيها من الخارج، إنما يسير نفسه بنفسه، ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود، فالوجودية تمرد على الواقع التاريخي، وحرب على التراث الضخم الذي خلفته الإنسانية.

و- الشعور باليأس والإحباط: يعاني الوجوديون من إحساس أليم بالضيق، والقلق، واليأس، والشعور بالسقوط والإحباط؛ لأن الوجودية لا تمنح شيئا ثابتا يساعد على التماسك والإيمان، وترى أن الإنسان قد ألقي به في هذا العالم وسط مخاطر تؤدي به إلى الفناء، ورغم كل ما أعطوه للإنسان فإن فكرهم يتسم بالانطوائية الاجتماعية والانهزامية في مواجهة المشكلات المتنوعة.

4- الوجودية والأدب:

اعتمد الوجوديون على الأدب لتجسيد أفكارهم، ليدعموا به كتاباتهم الفلسفية، ولا سيما الوجوديون الملحدون، فكتبوا قصصا ومسرحيات ودراسات نقدية وصنعوا بهذه الكتابات مذهبا أدبيا وجوديا.

والمذهب الأدبي الوجودي مكمل للفلسفة الوجودية، وإطار يظهر قضاياها بوساطة الأدب، وأهم القضايا الوجودية:

- الاغتراب الوجودي: إذ يشعر الأديب الوجودي – وينشر هذا الشعور بالغربة – في مجتمعه؛ لأنه لا يقتنع بقيمة ما هو مفروض عليه من خارج ذاته، ولأنه لا يدري من أين جاء ولماذا يعيش؟ وليس له هدف إلا أن يحقق وجوده في أن يعيش كما يريد.

- لذلك تصبح الثورة على القيم والتقاليد قضية مهمة عند الوجودي، وتشمل التقاليد في مفهومه العقائد والأديان كلها، إذ عليه أن يرفضها ويدعو إلى رفضها.

- والقضية الثالثة هي التأكيد على الحرية والمسؤولية والالتزام، وتحقيق الذات من خلالها.

وليست للمذهب الوجودي آراء خاصة في شكل العمل الأدبي وقالبه، لأن اهتمامهم منصب على المضمون، وهمهم أن يجعلوا الأدب ملتزما بعرض أفكارهم وخدمتها،

وقد استثنى سارتر الشعر من هذا الالتزام، وعده بنية لغوية إيقاعية مجردة كالموسيقى لا تصلح بطبيعتها لحمل الأفكار، أما القصة والرواية والمسرحية فهما ميدان الالتزام الأكبر وهما اللذان جسدا المذهب الوجودي في الأدب.

وقد استطاع الوجوديون بملكاتهم الأدبية والنقدية أن ينتجوا قصصا ومسرحيات قوية في صياغتها، مشحونة بأفكارهم الوجودية، استطاعت أن تؤثر في آداب كثيرة، وأشهر أدبائهم: جان بول سارتر صاحب المسرحيات الشهيرة (الذباب، جلسة سرية، رجال بلا ظلال)، وألبير كامو وأشهر رواياته (الغريب، الطاعون).